احلاق وهيئة اعتبار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات باسرها مفتوقة بالمطر مبنيا على ان لها مدخلا
في الامطار ففتق السموات والارض بعد ما كانتا رتقا على اي معنى كان هو الدليل الاول من الدلايل الستة
المذكورة في هذه الاية قوله فان الفتق عارض لانه من جملة الممكنات وهي ممكنات باسرها حادثة مفتقرة الى مخصص
يخصص احد طرفيه بالوقوع قوله وانما قال كانتا يعني ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان مرجعه جماعتان
قوله وقرئ رتقا بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب فوجه الاخبار عن المثنى ظاهر وان كان اسما بمعنى فعل
بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغي ان يطابق الخبر المخبر عنه في التثنية الا انه افرد
بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد اللفظ والتقدير كانتا شيئا رتقا قوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون
بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد وهو كل شيء ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبله فان اريد بالنطفة يكون
جعلها مبدأ لخلق الحيوان وظاهرا كما في قوله والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء طبيعة الماء الذي
هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما في قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان جعل شبه جعل الله كل
حيوان مفرط الاحتياج الى الماء محبا له قليل الصبر عنه بخلقه تعالى اياه من الماء ثم قيل جعلناه وانشاناه
منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لا يعيش بدونه فيكون خلقناه منه استعارة تصريحية
تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرناه فيتعدى الى اثنين ثانيهما من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية ومعنى صيرنا
كل حي متصلا بالماء ملابسا به كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابك بعضهم
متصل به لا ينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله
الاول متصفا بالثاني ولا يتاتى ذلك الا بكونها اتصالية بمعنى انه بسبب هذا الماء لابسه ومن لابسه لا ينفك عنه
لان كون الشيء بسبب الغير يستلزم ملابسته والاتصال الفعلي بينهما فلذلك فسر بعض قوله تعالى من الماء الا ان من
في كلامه بيانية لا اتصالية وكذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب
على انه مفعول ثان متعلق وكونه بمعنى صيرنا وكون الشيء مخصوصا سواء اريد به الجسم الحساس المتحرك بالارادة
او ما يعم النبات لانه يصير ناميا ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيي
الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثاني من الدلايل المذكورة في هذه الاية اخبر الله ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتق منها ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حيوتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر بابها
ويسكن بهم بان اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى
مصالحهم التي جعل لهم في البلاد النائية وذكر لهم ايضا نعمة في رفع السماء بلا عمد وحفظها من ان
يسقط عليهم وذكر ايضا نعمة فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من المنافع الراجعة
اليهم ليتذكروا ويعلم ان من قدر على هذه الامور العظيمة وانعم عليهم بهذه النعم البديعة منزه عن الشريك
والولد وانه اله واحد احد سلطانه عزيز صمد قوله كراهة ان تميد اي تميل يعني قوله ان تميد مفعول له
اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية فحذف ما حذف لعدم الالتباس قال ابن
عباس رضي الله عنهما على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فارساها الله بالجبال

بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة قوله مسالك واسعة يعني ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا
فجاجا على ان سبلا هو المفعول وفجاجا صفة فلما قدم عليه انتصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل
فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال تدل على هيئة ذي الحال حين تعلق العامل به قوله او ليبدل منها
اي يجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدل منه تفسير للفجاج وبيانا لكونها نافذة مسلوكة فان
الفج قد يكون غير نافذ فمع ما في البدل من التاكيد والسابلة ابناء السبيل المختلفون في الطرقات قوله بيان
لبعض تلك الايات مثل خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدالة باهرة على وجود الصانع المدبر الحكيم قوله والمراد
بالفلك الجنس جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد من الشمس والقمر يسبح في فلك مع ان كل واحد
منهما فلك على حدة فان قولنا كلهم في دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على
حدة الا انه خلاف المتبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين في دار واحدة وتبادر هذا المعنى الى الفهم
امارة لكون اللفظ حقيقة فيه وتقرير الجواب كون كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتا بالتوحيد
كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ في فلك على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل
عليه لفظ حلة بقرينة امتناع ان يكتسي الجماعة حلة واحدة بالشخص قوله يسبحون تبعية تشبيها لاسراع
كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا
بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع واحتج ابو علي سينا على كون الكواكب احياء
ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال
الجمع بالواو والنون لا يكون الا للاحياء العاقلين والجواب عنه ما اشار اليه المصنف من انه لما اسند اليها
ما هو من افعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء ولما جعل
يسبحون خبر كل وجعل جملة كل في فلك يسبحون حالا من الشمس والقمر ورد ان يقال كيف جاز ان يختص
المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد لتعلق العامل بذي الحال والعامل كما يتعلق بالشمس والقمر يتعلق
بالليل والنهار ايضا فينبغي ان يكون مضمون الجملة الحالية قيد التعلق بالجميع فاجاب عنه بقوله انفرادهما
بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك انما يكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول
رايت زيدا متبرجة اي مظهرة زينتها واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة
فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك كحركة السمك في الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا
والكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الراي الاول باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الراي الثاني
نقيض ما ذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكواكب مغروزا في الفلك واقفا فيه والفلك
يتحرك فيتحرك الكواكب تبعا لحركة الافلاك قال الامام واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق
على الافلاك وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات الثلاثة كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي
يدل عليه لفظ القرآن ان يكون الافلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمكة في الماء قوله يتربص

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)